مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ١٨/٢٠٠٤

الأحد ١ أيار

الفصح المقدس

المسيح قام ... حقاً قام

الرسالة

(أعمال الرسل ١: ١-٨)

إني قد أنشأتُ الكلامَ الأوَّلَ يا ثاوُفِيلُس في جميعِ الأمورِ التي ابتدأَ يسوعُ يعمَلُها ويعلِّمُ بها* إلى اليوم الذي صعِدَ فيهِ من بعدِ أن أوصَى بالروحِ القُدُسِ الرُّسلَ الذينَ اصطفاهُم* الذين أراهم أيضًا نفسَهُ حيًّا بعد تألُّمِهِ ببراهينَ كثيرةٍ وهو يتراءى لهم مدَّةَ أربعينَ يومًا ويُكلِّمُهم بما يختصُّ بملكوتِ الله* وفيما هو مجتمعٌ معهُم أوصاهُم أنْ لا تَبرحوا مِن أورشليمَ بل انتَظِروا موعِدَ الآبِ الذي سمِعتُموهُ مني* فإنَّ يوحنا عَمَّدَ بالماءِ وأمَّا أنتم فستُعمَّدون بالروحِ القدس لا بعدَ هذهِ الأيامِ بكثير* فسألَهُ المجتمعون قائلينَ يا ربُّ أفي هذا الزمانِ تردُّ المُلْكَ إلى إسرائيلَ* فقال لهم ليسَ لكم أن تعرفوا الأزمنةَ أو الأوقاتَ التي جعلها الآبُ في سلطانه*

الفصح والمعمودية

في الكنيسة الأولى، ومنذ البداية، ارتبطت المعمودية بالفصح، أي بقيامة ربنا ومخلّصنا يسوع المسيح. فالمعمودية هي موت وقيامة مع المسيح، هي رمز لموت المسيح وقيامته. كذلك ارتبطت المعمودية بالتعييد للفصح وصار الصوم الكبير، الذي هو تهيئة لعيد قيامة الرب، تهيئة للذين يريدون قبول سر المعمودية المقدسة، من خلال النصوص الليتورجية في فترة الصوم ومن خلال عظات الآباء القديسين التعليمية عن المعمودية في فترة الصوم أيضًا (القديس كيرلس الأورشليمي)، فكانوا يُعمَّدون نهار السبت العظيم المقدس الذي سُمّي أيضًا سبت النور، وقد أُطلق على طالبي العماد اسم «المستعدين إلى الاستنارة»، والمعمّدين الجدد «المستنيرين».

الفصح في العهد القديم هو عيد خروج شعب الله من مصر على يد موسى، وهو في الوقت نفسه الذبيحة المقدَّمة في ذلك اليوم (خروج ١٢:١١). إنه عبور شعب الله البحر الأحمر، في الماء، من العبودية إلى الحرية. وقد أدركت الكنيسة منذ البداية أن الخروج هو صورة للمعمودية (١ كور ١٠:٢).

الفصح في العهد القديم كان الحدث المُنشئ لشعب الله. بمعنى آخر فإن حدث الخروج من أرض مصر، أرض العبودية، أرض الموت، إلى أرض الميعاد، أرض الحياة، هو الذي كوّن شعب الله الذي قرّر أن يصير تحت كنف الله وأن يقبل الله على أنه إلهه الوحيد الذي يعطيه الحياة. كما في الخروج كذلك في المعمودية، ينتقل المعمَّد من العبودية للخطيئة، من الموت، إلى العبودية لله، إلى الحياة (رو ٦:١٦-١٨، ٢٢-٢٣؛ كو ٢:١٢-١٣). حياة المعمّد تصير من حياة الله، فيصير خليقة جديدة، أي يتكوّن من جديد على أنه عضو في جسد المسيح، أي الكنيسة التي هي شعب الله.

في العهد الجديد صار الرب يسوع المسيح نفسه الفصحَ الذي ذُبح لأجلنا (١ كور ٥:٧). وصار عيد الفصح هو عيد قيامة ربنا يسوع. وما المعمودية إلاّ رمزٌ لموت المسيح، والمعمّد يشترك مع المسيح في موته وقيامته: «إننا كلّ من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدُفنّا معه

لكنَّكم ستنالونَ قوَّةً بحلولِ الروحِ القدسِ عليكم وتكونونَ لي شُهودًا في أورشليمَ وفي جميعِ اليهوديَّةِ والسامرةِ وإلى أقصى الأرض.

الإنجيل

(يوحنا ١: ١–١٧)

في البدءِ كان الكلمةُ والكلمةُ كان عند الله وإلهًا كان الكلمة* هذا كان في البدءِ عند الله* كلٌّ بهِ كان، وبغيرهِ لم يكن شيءٌ مما كُوِّن* بهِ كانتِ الحياة والحياةُ كانت نورَ الناس* والنورُ في الظلمة يُضيءُ والظلمةُ لم تدركْهُ* كان إنسانٌ مُرْسَلٌ من الله اسمُهُ يوحنا* هذا جاءَ للشهادة ليشهدَ للنور. لكي يؤمنَ الكلُّ بواسطتهِ* لم يكنْ هو النور بل كان ليشهدَ للنور* كان النورُ الحقيقيُّ الذي يُنيرُ كلَّ إنسانٍ آتٍ إلى العالم* في العالمِ كان والعالمُ بهِ كُوِّنَ والعالمُ لم يعرفْهُ* إلى خاصَّتهِ أتى وخاصّتُه لم تقبَلْهُ* فأمَّا كلُّ الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يكونوا أولادًا لله الذين يؤمنون باسمهِ* الذين لا من دمٍ ولا من مشيئةِ لحمٍ ولا من مشيئةِ رجلٍ لكنْ منَ الله وُلدوا*

بالمعمودية للموت حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدّة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضًا بقيامته» (رو ٦:٣–٥). وفي خدمة المعمودية يُغطَّس المعمَّد ثلاثًا دلالة على دفنه مع الرب يسوع لثلاثة أيام، وبعد ذلك يُنشَل من الماء دلالة على قيامته مع الرب.

في خدمة عيد الفصح أيضًا يرتبط الفصح بالمعمودية وكأن عيد الفصح هو معموديتنا: «لأن المسيح إلهنا قد أجازنا من الموت إلى الحياة»، «أيها المسيح المخلّص إننا أمس قد دُفنّا معك فنقوم اليوم معك بقيامتك» (من قانون العيد). كما أننا نرتل في قداس العيد «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم المسيح قد لبستم».

قلب المعمودية إذًا هو الفصح، هو العبور من الموت إلى الحياة. وكما أن شعب الله بعد الخروج لم يدخل مباشرة إلى أرض الميعاد، بل كان عليه أن يسلك أولاً بحسب وصايا الله، هكذا أيضًا المعمَّد. فالمعمودية هي البداية وليست النهاية، وعلينا حتى ندخل الملكوت، أرض الميعاد، ان نسلك في جدّة الحياة (رو ٦:٤): «أما الآن إذ أُعتقتم من الخطيئة وصرتم عبيدًا لله فلكم ثمركم للقداسة والنهاية حياة أبدية» (رو ٦:٢٢). قيامتنا في المعمودية هي على شبه قيامة المسيح، إنها باكورة (١ كور١٥:٢٠)، تأتي إلينا قبل الأوان، وعلى أساسها تكون قيامتنا في اليوم الأخير. المعمودية إذًا هي الضمانة التي يمنحنا إياها الله عربونًا للحياة الأبدية.

قداس الشعانين

صباح الأحد ٢٤ نيسان ٢٠٠٥ ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس قداس الشعانين في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت بحضور حشد من المؤمنين. وبعد الإنجيل ألقى سيادته العظة التالية:

«باسم الآب والإبن والروح القدس، الإله الواحد، آمين.

يا أحبة،

الرب الذي نعبده أتى إلينا في مغارة أولاً، وعايش الناس جميعاً مختلطاً بهم وبالأخص المرذولين من المجتمع والمهمَّشين. إلهنا أتى إلى المحتاجين ليعينهم ويعضدهم ويحفظ حياتهم ويزرع فيها الرجاء. ولد فقيراً في مغارة – كان والداه يفتشان عن مكانٍ تلد فيه مريم – لكي يتعزى كلُّ فقير بأنّ يسوع مثله وليس بعيداً عنه، وأنّ الله معه في كل حين، فإذا رفضه المجتمع يستقبله ربُّه ويساعده بمغفرة كبيرة لكي يشفى من آلامه الروحية والجسدية والنفسية.

إلهنا رأيناه يجترح المعجزات ويطعم الآلاف ويشفي المرضى ويُقيم الأموات، والبارحة بإقامته لعازر من الموت أراد أن يؤكد لنا أنه، وإن تواضع إلى الحضيض، يبقى هو الإله الذي يقيم الإنسان من موت ويحييه، وهو الكائن الذي يسكب الفرح في قلوب الحزانى والمتألمّين، وهو الذي يعرف آلامنا وأحزاننا قبل أن تحصل وحين تحصل، لذا أخبر تلاميذه، كما سمعنا في إنجيل الأمس، أن «حبيبنا لعازر رقد»، ولم يكن يسوع مع لعازر، لكي يؤكد لكل مؤمن بأنه معه في كل حين.

يقول بولس الرسول في رسالته إلى كنيسة فيليبي: «لا تنظروا كلٌّ

والكلمةُ صار جسدًا وحلَّ فينا (وقد أبصرْنا مجدَهُ مجدَ وحيدٍ من الآب) مملوءًا نِعمةً وحقًّا* ويوحنا شهِد لـهُ وصرخ قائلاً هذا هو الذي قلتُ عنهُ إن الذي يأتي بعدي صار قبلي لأنَّهُ مُتَقدِّمي* ومن مِلئهِ نحن كُلُّنا أخذنا ونعمةً عوضَ نعمة* لأن النامُوسَ بموسى أُعطي وأمَّا النعمةُ والحقُّ فبيسوعَ المسيحِ حصلا.

تأمل

ما إن ظهر الرب بحضوره الإلهي المُشعّ أمام أبواب الجحيم المقفلة، أمام السجون المظلمة القاتمة في قعر مغاور الجحيم، حتى تقدّمه جبرائيل رئيس الجنود كونه اعتاد أن يجلب بشارة الفرح إلى البشر. وبصوت قوي لائق برؤساء الملائكة يهتف نحو القوات المعادية: «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم ولتسقط الأبواب الدهريّة»، ومن ثم تتابع القوات: «إلى الوراء أيها الحرّاس الأثمة» والسلطات تأمر بشدة: «حطّموا السلاسلَ العسرة الحلّ» ورئيس آخر يضيف: «الخزي لكم يا طغاةً غير مبالين». وكما يحدث عند حضور جيش ملكي رهيب لا يُقهر وكلّي القدرة، حين

واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً. فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كلُّ ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كلُّ لسان أن يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب» (في ٢:٤–١١). هذا الإله العظيم الذي نعبده اتخذ صورة عبد واتضع اتضاعاً عميقاً حتى الموت، موت الصليب (وكان يُقال ملعونٌ كلُّ من عُلِّقَ على خشبة) لكي يفتدينا نحن الخطأة ويخلّصنا.

اليوم، في عيد الشعانين، يصرخ الناس ويهتفون «مباركٌ الآتي باسم الرب». ملكٌ هو إلهنا. ملكٌ هو الداخل إلى أورشليم، لكنه لم يدخلها بضجيج ومواكب وأبّهة كما يفعل الملوك والحكام، لأن المَلِكَ الحقيقي هو الذي يأتي متضعاً، خادماً، محبًّا للناس جميعاً، لا ينظر إلى ما هو لنفسه بل إلى ما هو للآخرين.

صورة يسوع اليوم بالنسبة لنا هي مثالٌ للإنسان الذي يقرّر، الذي يحكم، الذي يملك وله رأي حر. دخل يسوع المدينة المقدسة بتواضع، على جحش، ليعطينا صورة واضحة عنه، لنفهم من هو. هو لم يأتِ ليتسلّط على الناس أو ليستفيد منهم أو يستغلّهم . أتى ليموت من أجلهم.

في الأحد الماضي، الأحد الخامس من الصوم، عندما طلب الأخوان يعقوب ويوحنا من يسوع أن يجلسهما عن يمينه وعن يساره في مُلْكه، انزعج منهما التلاميذ الباقون لا محبةً بيسوع بل حسداً منهما، لكن يسوع قال: ستجلسان وكل تلميذ سيجلس معي فقط إذا صُلب وتألم، وبكلمة واحدة: إذا أحب بالمحبة التي تأتي من الصليب، أي من الألم والتضحية. ثم قال لهم إذا شئتم أن تجلسوا على كراسي المُلْك، فاسمعوا ما أقوله لكم: «أنتم تعلمون أنّ الذين يُحسبون رؤساء الأمم يسودونهم وأنّ عظماءهم يتسلّطون عليهم، فلا يكون هكذا فيكم بل من أراد أن يصير فيكم عظيماً يكون لكم خادماً، ومن أراد أن يصير فيكم أولاً يكون للجميع عبداً، لأن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين» (مر ١٠:٤٢–٤٥). التلميذ ليس أفضل من سيده وربه. هل بإمكاننا اليوم أن نقول لملك أو لرئيس أو لأي مسؤول أن يكون عبداً؟ يسوع لم يأنف من وصف نفسه بالعبد والخادم. كلام الرب رسالة عميقة لنا وللحكام.

أنتَ أيها الإنسان الذي انتخبناك لتتولى المسؤولية، نريد أن نرى فيك هذه الصفات التي يتكلّم عنها ربنا يسوع المسيح. أنت تعظم عندما تعمل على جعل أبناء هذا البلد في حالة أفضل، في علم أفضل، في أخلاق أفضل. إذا أردتهم على صورتك فلن يكونوا كاملين لأن لا أحدَ كاملٌ. لدينا صورة هي الأجمل والأكمل والأفضل، صورة المسيح يسوع، وإياها وحدها نستلهم. المسيح أتى ليخدم وكل إنسان يحب يسوع هو على صورته خادمٌ.

عندما قال بيلاطس ليسوع يقولون إنك مَلِكٌ، أجاب يسوع: «ليست مملكتي من هنا. فقال له بيلاطس: أفأنت إذاً مَلِكٌ. أجاب يسوع: أنت تقول إني ملِك. لهذا قد وُلدتُ أنا ولهذا قد أتيتُ إلى العالم

يسود القائد غيرُ المقهور على الأعداء بالرعدة والاضطراب والخوف، هكذا حصل فجأة ما إن حضر المسيح بهذا الشكل الغريب إلى اسافل الجحيم. من فوق برقٌ قوي يُعمي وجوه قوات الجحيم المعادية، وفي الوقت نفسه كانت تُسمع هتافات الجيوش المرعدة. «ارفعوا الأبواب». لا تفتحوها فقط بل اقتلعوها من أساساتها، اخرجوها كليًا من مكانها حتى لا تستطيع من بعد أن تقوم. ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، لا لأن الرب لا يستطيع أن يفتحها، وهو إن شاء أمر ودخلها وهي مقفلة، لكنه يأمركم كعبيد فارين بأن ترفعوا الأبواب الدهريّة وتنقلوها من هنا. لا يأمر شعبكم بل يأمركم أنتم الرؤساء: «ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم» (مز ٢٣:٧-١٠).

من الآن فصاعدًا لن تكونوا رؤساء متسلّطين على أحد مع أنكم حتى الآن سدتم باطلاً على الراقدين. لن تسودوا بعد الآن عليهم ولا على غيرهم ولا حتى على أنفسكم. ارفعوا الأبواب لأن المسيح أتى وهو الباب السماوي. افتحوا الطريق أمامه فقد داس بقدمه معقل الجحيم. اسمه «رب» والرب له الحق والقدرة أن يخترق أبواب الموت.

القديس ابيفانيوس القبرصي

لأشهد للحق. كلُّ من هو من الحق يسمع صوتي» (يو ١٨:٣٦-٣٧). فمن لا يطيق سماع صوت يسوع وكلامه إنسان بعيدٌ عن الحق.

ما نصبو إليه اليوم أن يكون لنا حكامٌ لا يكثرون الكلام. عندما يكثر الإنسان الكلام يُحاسَب على ما وعد به إن لم يفعله. من الحكمة أن لا يكثر الإنسان الكلام وأن يعمل بصمت. وعندما يقول الإنسان شيئاً، يكون الله شاهداً على كلامه وهو يَدينه. لذلك نأمل من حكامنا أن يكونوا صادقين. يُقال إن الكذب ملح الرجال لكننا نعتبره ملح الرجال الفاسدين، وإذا فسد الملح فبماذا يُملّح؟ نحن لا نحبّذ الكذب بل ندينه. وأنا أخاف من الكذب لأنه نوع من التمثيل. في اللغة اليونانية القديمة الممثل يدعى Hypocritis لأنه يعطي صورة ليست هي حقيقته. والكلمة اليوم تعني مرائي. أملنا أن لا يتوسل رجل السياسة الكذب والتمثيل لأن الشعب أصبح على درجة من الوعي تمكّنه من فضح من لا يقول الحقيقة. لذلك الأفضل أن يتكلّم المسؤول بقسوة إنما بصدق. نحن بحاجة إلى أناس صادقين.

إذا أحببنا الله يجعلنا في الحرية. الله لا يقهر أحداً. يقول: «هل أنذا واقفٌ على الباب وأقرع. إن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب أدخلُ إليه وأتعشى معه وهو معي» (رؤ ٣:٢٠). لقد خَلقنا أحراراً ويحترم حريتنا حتى في قبوله ورفضه.

نحن نردد مع بولس الرسول: «مع المسيح صُلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غلا ٢:٢٠). في هذه الأيام التي نعيشها لم يعد مجالٌ للتلاعب والالتفاف على أمور ليست واضحة. كلنا نريد الحقيقة في هذا الأمر أو ذاك. الراقدون في الرب في عناية الرب ولكننا لا نريد أبناءنا أمواتاً وهم أحياء. لا نريد إلا بشراً يحبّون الإنسان ويصومون عن صناديقهم وجيوبهم ومصالحهم وغاياتهم الشخصية. يسوع يقول لنا أنتم دُعيتم للحرية الفاعلة بالمحبة للخدمة. نتعلم اليوم من ربنا يسوع المسيح أن من امتلأ من الله هو حاكمٌ حرٌ مهما أشاروا إليه بالعبودية، ونعتبر كلَّ مترئس لا يعرف الله عبداً لشهواته وخطاياه. لذا نصلّي من أجل أن يقدّس اللهُ حكامَنا وأن يجعل كلمته في قلوبهم وأفواههم لكي يحتكموا إليها في كل حين. عندئذ يتقدس هذا البلد.

أيها الأحبة،

نسأل الله أن يقدّسكم وأن يجعلكم خداماً له في الإنسان حيثما حلّ، وأن تكونوا قدوة لكل إنسانٍ يشاء أن يكون في الحرية المخلصة. عندئذ تصبحون جميعكم في ملكوت الله، في مُلكه، ملوكاً، مسحاء. بالمحبة الخادمة للإنسان الذي فيه صورة الله تتألّهون، ويتقدّس بلدُكم بحضوركم ووجودكم فيه ويصبح أرض قديسين. آمين».

رسامة كاهن

بمناسبة عيد ينبوع والدة الإله يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة من صباح الجمعة ٦ أيار في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية. خلال القداس الإلهي سوف تتم رسامة الشماس إيليا دانيال كاهناً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb